الفصل الثاني
حول القصة القرآنية

القصة الحديثة :

يعرف الدكتور محمد يوسف نجم القصة بقوله : «مجموعة من الأحاديث يرويها الكاتب وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثر والتأثير» [(١)] .

وينقسم الفن القصصي من حيث الهيكل إلى : الأقصوصة والقصة والرواية والحكاية .

١ـ الأقصوصة : وهي القصة القصيرة يتناول فيها الكاتب جانبا من الحياة ، يعني أنها تكتفي بسر : حادثة أو حوادث يتكون منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته مع الالتزام بتوافر النضج في التحليل والتركيز الفني .

٢ـ القصة [(٢)] وهي بين القصة والأقصوصة والرواية ؛ إذ يعالج فيها الكاتب جوانب أرحب لذلك تمتد الحوادث ويطول الزمن .

٣ـ الرواية يعالج فيها الكاتب موضوعا كاملا أو أكثر يزخر بالأحداث تجمعها حياة تامة لبطل أو أبطال .

٤ـ الحكاية وهي سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا تخضع لقواعد فنية دقيقة [(٣)] .

---

(١) انظر : فن القصة ، ص ٩ ، دار الثقافة .

(٢) من القواعد الفنية للقصة : ١ ــ الوحدة الفنية ، ٢ ــ مراعاة التلميح دون التصريح ، ٣ ــ العناية برسم الشخوص ، ٤ ـ عنصر التشويق ، ٥ ـ الحبكة القصصية .

(٣) انظر : تيمور «محمد» دراسات في القصة والمسرح ، ص٩٩ ، ١٠٠ للاستفادة من هذا الفن يحسن الرجوع إلى النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد عتيمي علال ـ الفصل الثالث القصة ص ٤٩٣ .

obeikandi.com

هذه مقدمة موجزة عن الفن القصصي الحديث ، وبالموازنة بينه وبين القصة في القرآن الكريم فإننا نجد القصة القرآنية لا تخضع لما تخضع له القصة الفنية والأقصوصة ولا الرواية ولا الحكاية ، إنها نمط خاص قد تتفق حينا في بعض خصائصها مع ما هو مقرر في القصة الحديثة وقد تختلف ، وكل قول بأن القصة القرآنية يمكن أن تخضع بشروطها الفنية للقصة الحديثة إن هو إلا تخبط ، إذ أول ما يهدم هذا الزعم أن القصة القرآنية ليست مجموعة أحداث يرويها الكاتب ـ كما رأينا في التعريف السابق ـ لكونها وحيا من الله ، ولكون الله تعالى منزها عن أي تأثر كما يجري ذلك على كاتب القصة .

القصة في القرآن :

القصة في القرآن ليست كشأن القصة الفنية المعروفة التي ترمي في جوهرها إلى عرض فني ليس إلا ، إنما هي أداة مهمة يستعملها القرآن الكريم لتحقيق مرماه الأصيل وهو إبلاغ الدعوة بصفته كتاب دعوة يتوسل بشتى الوسائل لتثبيت الفكرة التي يود أن يرسخها في النفوس .

بجانب ذلك فقد سارت القصة القرآنية في مضامينها ودلالاتها وطرق عرضها وتناسق حوادثها على وفق الغرض الديني ، ولم تخرج عن هذا الغرض أبدا ، وبالرغم من ذلك فما كان هذا ليمنع ظهور خصائص فنية للقصة القرآنية خصوصا التصوير .

ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن التعبير القرآني ـ كما يقول سيد قطب نفسه ـ [1] يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيه يعرض من الصور والمشاهد ، ويجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني .

---

(١) التصوير الفني ، ص ١١٩ .

أغراض القصة القرآنية :

خدمت القصة القرآنية أغراضا دينية ذات جلال ، فكانت خير أداة في هذا المجال ، فقد عالجت موضوعات متعددة أهمها إثبات وحدانية الله تعالى ، وإثبات وحدة الأديان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإظهار القدرة الربانية ، وبيان أحوال الفجار والكفار ، وعواقب الشر وهكذا عملت في مضمار الدعوة إلى المنهج الرباني فبلغت بذلك أسمى غاياتها .

آثار خضوع القصة للغرض الديني :

يرى [١] الأستاذ سيد قطب أن الإعجاز البياني في القرآن الكريم أن القصة القرآنية قد وردت مكررة ، غير أن هذا التكرار لم يشمل القصة كلها غالبا ، وذلك يتبع ما يمكن أن تؤدي إليه من عبر ، ولا تعرض القصة كلها إلا نادرا ولمناسبات خاصة في السياق .

ويتجلى الإعجاز في أن هذه الحلقات المكررة تأتي مناسبة للسياق الواردة فيه ، وليس يخفى أن القرآن كتاب دعوة ، لذلك فإن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المطلوب ، ويعرض الأستاذ قطب نماذج للحلقات المكررة [٢] .

وبتتبع ما في القرآن الكريم من تكرار للقصص نجد أن هذا التكرار يرد في سياق مناسب ، ويعرض عرضا جديدا ، والحقيقة أنه لا تكرار لمن أمعن في النظر ، مادام السياق يتطلب الإعادة .

وكان من آثار خضوع القصة للغرض الديني أن يعرض منها القدر الذي يكون كافيا للقيام بالغرض المطلوب ، ذلك أن القصة مرة تعرض من مفتتحها ومرة من

(١) التصوير الفني في القرآن ، ص ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، وراجع بقية حديثه في الصفحات التالية فإنها مهمة .

وسطها وهكذا [١] سارت القصة في القرآن على وفق ما يتطلبه الغرض الديني من عبرة .

الخصائص الفنية للقصة القرآنية :

من الإعجاز البياني في القرآن الكريم بروز خصائص عامة فنية للقصة القرآنية تحقق الغرض الديني المطلوب ، ويركز الأستاذ سيد قطب هذه الخصائص على ظواهر فنية أربع لها مكان ملحوظ في الدراسات الفنية للقصة في عالم الفنون :

١ـ تنوع طريقة العرض .

٢ـ تنوع طريقة المفاجأة .

٣ـ فجوات بين المشهد والمشهد يتولى الخيال سدها [٢] .

٤ـ التصوير .

رسم الشخصيات في القصة القرآنية :

درس سيد قطب ~ فيما درس من مباحث الإعجاز الجمالي في القرآن الكريم شخوص القصة القرآنية في «الظلال» و«التصوير الفني في القرآن» دراسة دقيقة غاص فيها أعماق النماذج الإنسانية التي تحدث عنها القصص القرآني ، فأبرز سمات نفسياتها ، ومعالم سلوكها يقول متحدثا عن موسى عليه السلام من خلال قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:١٨] :

«ومر يوم وأصبح في المدينة خائفا من اكتشاف أمره ، يترقب الافتضاح والأذى ولفظ «يترقب» يصور هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس ويتوقع الشر في كل لحظة وهي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك» [٣] .

---

(١) راجع نماذج لهذا في التصوير الفني ، ص ١٤٣ ـ ١٤٧ .

(٢) انظر : حديث سيد التطبيقي عن هذه الخصيصة الفنية في المجلد ٦ ، ص ٣٢٢ .

(٣) المجلد ٦ ، ص ٣٣١ .

obeikandl.com

وإن أهم دراسة كتبها سيد قطب لشخوص القصة القرآنية ـ ولا يعني هذا أن دراسات أخرى لشخوص أخرى ليست جيدة ـ هي دراسته لشخصية يوسف عليه السلام من خلال تفسيره لسورته سماها باسمه وهي سورة «يوسف» ذلك أن هذه الدراسة استطاع فيها أن يبرز فيها منهج الإسلام في الأداء الفني للقصة ، وجعل قصة يوسف تمثل النموذج الكامل ـ كمال قال ـ للمنهج الفني للقصة ، والنموذج الكامل أيضا لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقدي والتربوي والحركي .

إن الشخصية الأساس في القصة هي شخصية يوسف عليه السلام ؛ لذلك سلطت عليها الأضواء في تحركاتها في كل المجالات ، وظهرت وهي تواجه أنواعا من الابتلاء تارة بالشدة ، وتارة بالرخاء ، وتارة بإثارة الشهوة والفتنة وتخرج من كل ذلك نقية طاهرة ، تمثل النبوة المعصومة من كل دنس يقع في مزالقة الإنسان وقت غياب وهجه الإيماني .

بجانب شخصية يوسف عليه السلام هناك شخوص آخرون تمثل نماذج إنسانية هي يعقوب المحب الملهوف عليه السلام وأخوة يوسف ، ويمثلون مواقف الحسد والبغض وامرأة العزيز باندفاعاتها الشهوانية التي ورثتها عن بيئتها المصرية ، وهناك أنموذج الطبقة العليا من نساء مصر وأنموذج «العزيز» و «الملك» .

وهكذا تحفل القصة بحشد من الشخوص والبيئات والمواقف والمشاعر والحركات ، وتخضع للواقعية السليمة تلك الواقعية التي ترتفع عن الواقعية الغربية الهابطة الساقطة الحافلة بكثير من الدنايا والرزايا التي جنت على أدبنا العربي الحديث ، وجنت كذلك على مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة فلونتها بلونها القاتم . يقول سيد :

« ومع استيفاء القصة لكل ملامح «الواقعية» السليمة المتكاملة وخصائصها في كل شخصية وفي كل موقف وفي كل خالجة ؛ فإنها تمثل النموذج الكامل لمنهج

الإسلام في الأداء الفني للقصة ، ذلك الأداء الصادق الرائع بصدقه العميق وواقعيته السليمة ، المنهج الذي لا يهمل خلجة بشرية واقعية واحدة ، وفي الوقت ذاته لا ينشئ مستنقعا من الوحل يسميه «الواقعية» كالمستنقع الذي أنشأته «الواقعية» الغربية الجاهلية »[1] .

*****

(١) المجلد ٤ ، ص ٦٦٤ ، ويحسن الرجوع إلى الصفحات الآتية ٦٦٣ إلى ٦٦٥ .

obeikandl.com